الفصل الثانى

سنة نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فى التوبة

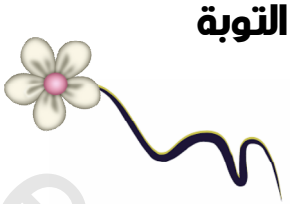

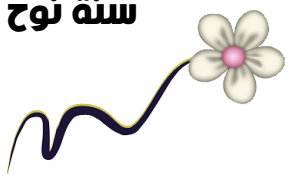

نظرة على قصة سيدنا نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ :

نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من سلالة شيث بن آدم – أبى البشر – عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، بعثه الله تعالى إلى قومه بعد أن ضلوا ضلالًا مبينًا، وتعجبوا لنزول رسالة سماوية من رب العالمين على رجل منهم. وكذبوه وأصروا على موقفهم منه، فكانوا كلما سمعوا كلام الله وتذكيرهم بآيات الله أعرضوا عنه.

ووجد الكافرون أن الذين أسلموا واتبعوا الرسول نوحًا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هم من أراذل القوم وأضعفهم، واعتبروهم جميعًا كاذبين. لم يطلب منهم نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ تفضيلًا عليهم، أو مالًا أو أى متاع من الدنيا، ولكنه جاء ليذكرهم بعبادة الله وحده لا شريك له؛ فهو رجل منهم ليس بغنى، ولا يعلم الغيب، ولا هو بملك، ولكنهم أصروا أن يروا العذاب الذى يعدهم، فى اليوم الذى لا ينفع الإيمان فيه إلا لمن آمن من قبل.

استمر نوح فى دعوة قومه، متلطفًا معهم بأنه لم يأتِ ليفرض عليهم الدين أو يلزمهم به، ولكن هذا أمرهم، ولم يؤمن به إلا قليل رغم مدة دعوته الطويلة، فقد استمر يدعوهم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ تسعمائة وخمسين عامًا، وأصروا على العذاب، وطلبوه ليتحققوا من صدق نبوة نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

ودعا نوح عليهم ألا يبقى من الكافرين على الأرض أحد؛ حتى تتطهر الأرض منهم، وتبدأ الحياة فى الأرض من جديد بجيل جديد مؤمن بالله الواحد. ودعا ربه أن ينصره عليهم، فأمره الله أن يصنع سفينة فى الأرض التى لا يوجد فيها بحر أو شاطئ، فتزايدت سخرية قومه منه، وتزايد توعده لهم بالعذاب، وكان ذلك على رعاية من الله ووحيًا منه، وأخبره الله ماذا سيفعل بالسفينة، ومن الذى سيركبها، ومتى سيركبونها، ومن الذين يحرم عليهم ركوبها .. فإذا جاء موعد العذاب، يبدأ فى تحميل السفينة من كل مخلوقات الله زوجين

وكل من آمن، أما أهل نوح فقد سمح الله تعالى للمؤمنين منهم فقط، ولم يسمح لأقرب الأقربين إلى نوح، الذين لم يؤمنوا بالله، وهما زوجته وولده.

وعلم الله نوحًا ماذا سيقول إذا بدأت السفينة فى الاستواء على سطح الماء، بأن يحمد الله الذى نجاه من القوم الظالمين، وأن ينزله منزلا مباركًا، وعلم نوح المؤمنين دعاءً عند ركوبها: ﴿وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٖىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ٤١﴾ [هود]. ورغم أن الله قد أخبر نوحًا بأن ركاب السفينة هم المؤمنون، إلا أنه طلب من ابنه أن يركب معه بعد أن يؤمن، وأن يترك الكافرين، فكيف ذلك، وأنه لا يؤمن فى هذا اليوم إلا من آمن؟ وصدقت الآيات وأصر ابن نوح على كفره، واعتقد أنه قادر على إنقاذ نفسه، قال له نوح: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ [هود:٤٣]، وعندما تمت كلمة الله على القوم الكافرين، رجعت أحوال الأرض كما كانت وهدأت السماء، واستوت السفينة، وكانت عاقبة الكافرين المعاندين المصرين على حال الجهل والعصيان وعدم اتباع الرسول، أن أغرقوا فى الدنيا، وذاقوا عذاب الحريق بعد الموت.

قال تعالى فى سورة نوح: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔاتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا ٢٥﴾ [نوح].

الآيات التى سننطلق منها لاتباع سنة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ فى التوبة:

﴿وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٤٥﴾ [هود]. فى: لا وساطة فى الدين.

قال تعالى فى سورة نوح: ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا ٢٨﴾ [نوح]؛ للاستعانة بالدعاء والاستغفار.

قال تعالى فى سورة هود: ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٤٦﴾ [هود]؛ للاستعاذة من الجهل.

﴿وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٤٧﴾ [هود]؛ للإحساس بالخسارة والندم.

***

منهج التوبة

لا وساطة فى الدين:

مسئولية الفرد عن عمله:

قال تعالى فى سورة هود: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [هود].

فهذا دعاء نبى إلى رب العالمين، يدعو فيه لابنه بالنجاة، فهل شفع له عند ربه؟ أم أن العمل والإيمان بالله هو المعيار؟ فهل القرابة أو الصداقة تشفع للكافر وللعاصى ولمن أخرجه الله من رحمته؟! فقد قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَ﴾ [هود:٤٦] .. فالنسب لم يصبح له مكانة فى هذا اليوم العظيم.

فلا يغرنك أن والدك رجل دين أو رجل صالح، أو أن أخاك كذلك، أو أن الزوج من المؤمنين الصالحين المهتدين؛ فكل يأتى يوم القيامة فردًا، يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم. فماذا أحضرت لهذا اليوم؟ هل هو يوم لعيد الميلاد، حيث يستعد له البعض من العام إلى العام بالشراء للأدوات والاحتياجات، وبإعداد المال الذى سينفق عليه، وبالتفكير فيمن سيحضر هذا الاحتفال ليرى ماذا فعلت فيه وله، أما فى اليوم العصيب الذى يقول فيه المؤمن: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ﴿٢٠﴾﴾ [الحاقة].

فهل ستفكرين فى هذا اليوم أم فى يوم عيد الميلاد؟، فأين فخر الدنيا الزائلة، والتى لا يخرج منها المدعوون له إلا بالحديث عنك وعليك، من فخر يوم الدين الذى أعد له المؤمن وخط كتابه بيمينه، وأشهد عليه الشاهدين؟! فلتعملى لهذا اليوم، ولتتجهزى له، ولتستعدى؛ فربما يكون قريبًا.

الأخوة فى الله:

إذا كانت الأخوة فى النسب لا تستطيعى أن تختاريها حسب ما تريدين، فإن الأخوة فى الله هو ما تقدرين عليه، فتذكرى أن كل من آمن بسيدنا نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، أصبح فى مكان واحد

آمنًا سالمًا، وأن ما عداهم من أقارب وأصدقاء فى الدنيا فى مكان آخر، فلم يجتمعوا فى الدنيا يوم حسابهم، ولن يجتمعوا فى الآخرة يوم الحساب العظيم - يوم الدين.

فلتبحثى عمن تحبينها فى الله، ولا يكون بينك وبينها إلا الله، فلا مصلحة ولا حاجة من حوائج الدنيا، ولا شيئًا ذا منفعة دنيوية تبحثين عنه عندها. ستنالين حب الله فى الدنيا، وظله فى الآخرة، يوم لا ظل إلا ظله. أما الأخريات اللاتى فضلن صداقات الدنيا، فسينلن منها ثمارًا مرة فى الدنيا وفى الآخرة، لا تكون لهن شفعاء ولا صديقات، يقول الله تعالى فى سورة الشعراء: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الشعراء].

ولكن ربما تتساءلين: هل من شرط الحب فى الله ألا يكون هناك مصلحة بين الأخوات على الإطلاق؟ فربما تذهبين ومعك مصلحة لها، أو قضاء حاجة من حوائج الدنيا لك أو لها، وهو ما يزيد الحب والخير بين الأخوات، فخير الأصحاب خيرهم لصاحبه، ومن هدى الرسول ﷺ الهدية؛ فهى تؤلف بين القلوب، وتحبب النفوس لبعضها[1].

فإذا كانت مثل هذه الأمور الدنيوية وسيلة لحب الله فهى لله، وإن كانت العلاقة مرتبطة بها فهى للدنيا، فالمؤشر واضح، فقد تجدين نفسك منشرحة عند لقاء إحدى الأخوات وتسرعى فى تلبية ندائها وطاعتها فى الخير، ولكن فجأة تجدين نفسك قد تغيرت وتغيرت الأحوال رويدًا رويدًا فلماذا إذن؟ الإجابة هو أن الحب لم يكن لله، بل كان للدنيا، فعندما انقطعت أسبابها انقطعت الصلة.

وقد تكون العلاقة بين الأخوات لإشباع حاجات فى النفس أو اتباع الهوى، على الرغم من إمكانية أن تكون هذه العلاقة فى الظاهر دينية وتعبدية لله. فقد تحرص بعض الأخوات على حضور مجالس للعلم والعبادة، إلا أن نفسها تحدثها وتدفعها للحضور من أجل التظاهر على الأخوات بالعلم أو بالملبس، أو بالإمكانيات المادية التى ربما تفوق غيرها من الحاضرات، أو تذهب لتفضح أختًا من الأخوات أمام غيرها، وتعتبرها فرصة للمنازعات وإعلان الخصومة.

فإذا كانت فى نفسها حاجة من هذه الأشياء، فلا يكون العمل أو الأخوة فى الله، فالشكل لا يغنى عن الجوهر، ليكن المؤشر هنا انتهاء السبب الذى تدعو إليه النفس، فإذا انتهى

---

(١) البخارى فى الأدب المفرد (١٧٤)، والتلخيص الحبير للحافظ ابن حجر (١٣٥٣)، وقال: «إسناده حسن»، وحسن إسناده الشيخ الألبانى فى إرواء الغليل (١٦٠١).

السبب وانتهت عن الحضور، فهو للنفس وليس لله، وإذا انتهى السبب وواظبت على الحضور، وتابت إلى الله مما ارتكبت من ذنوب، وأخلصت العمل لله، فهو لله إن شاء الله.

وهناك جوانب أخرى تتصل بمن تقبلين عليها وتصاحبينها فى الله، يمكن التذكرة ببعضها - والله يوفقك - فى أكثرها إن شاء الله:

- ألا تتبع أهواءها، يقول الله تعالى فى سورة الكهف: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾[الكهف].
- أن تحب لقاء الله، وتحب الجنة، وتحب كل عمل يقربها إليها .. ففى سورة النجم: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾﴾[النجم].
- أن تكون أوابة إلى الله، كثيرة الاستغفار والتوبة؛ ففى سورة لقمان: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾[لقمان].
- أن تأمرك بالمعروف وتنهاكِ عن المنكر.

وهناك جوانب تتصل بك تجاه من تحبين فى الله، وهى كثيرة، نذكر منها:

- أن تكونى رحيمة بها، فلا تكلفيها ما لا تطيق.
- أن تلتمسى لها الأعذار، ولا تتصيدى لها الأخطاء.
- أن تسرعى فى قضاء حوائجها.
- أن تكونى رقيقة معها، قال ﷺ: «ألا وإن لله أوانٍ فى أرضه، وهى القلوب، فأحب الأوانى إلى الله تعالى أصناها وأصلبها وأرقها، أصناها من الذنوب، وأصلبها فى الدين، وأرقها على الإخوان» [أخرجه الطبرانى وإسناده جيد].
- أن تحفظى أمانتها وأسرارها.
- أن تسكتى عن أى من عيوبها.
- أن تدعى لها بظهر الغيب فى حياتها وفى مماتها.
- الثبات على الحب ومداومته، وعدم تغير الحال بتغير الأحوال.

الشفاعة:

وهى ثلاثة؛ اثنتان فى الدنيا فى أمور الدين أو الدنيا، وواحدة فى الآخرة هى طلب العون والغوث، والتوسط بالقول فى وصول إنسان إلى منفعة دنيوية أو أخروية.

obeikandl.com

يقول الله تعالى فى سورة النساء: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ﴾[النساء:٨٥].

وفى سورة البقرة يقول الله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾[البقرة:٢٥٥].

فى أمور الدين كما فعل نوح مع ابنه، أو فى الدنيا؛ فالشفاعة قد تكون فى الدنيا كأن يشفع مسلم لآخر ويعاونه فى الخير، فيكون له نصيب من هذا الخير. وقد تكون فى الآخرة، حيث يشفع سيدنا محمد ﷺ لأمته، ويشفع الصالحون والشهداء لغيرهم بإذن الله.

كما رفض الله تعالى شفاعة نبيه نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فى ابنه، والإسلام لا يرضى بالشفاعة فى حدود الله، فيعلمنا الرسول ﷺ عدم الشفاعة فى الحدود، فعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، أن قريشًا أهمهم شأن المرأة المخزومية التى سرقت، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ، فقالو: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حب رسول الله ﷺ، فكلمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: «أتشفع فى حد من حدود الله؟»، ثم قام فخطب، ثم قال: «إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمه بنت محمد ﷺ سرقت لقطعت يدها» [متفق عليه](١).

أما فى أمور الدنيا للصلح بين اثنين، أو لقبول شخص فى مهنة أو وظيفة، أو فى شراء بضاعة، أو فى القيام بخدمة، أو غيرها من الأمثلة، فهى من الأعمال المحببة، والتى يشجع عليها الدين، إذا قامت على الحق، ولم يبغ من ورائها ضرر لأى طرف أو جماعة: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ﴾ [النساء:٨٥]. ويجب أن تنتبه الأخت المسلمة إلى الوساطة المنتشرة الآن فى التوظيف فى مهن معينة، والتى تؤدى إلى استيلاء جماعة ذى سلطة معينة على مهن بعينها دون غيرهم، كما يحدث فى كثير من الوظائف الحكومية - وخاصة فى المجال السياسى والإعلامى والاقتصادى - فتصبح هذه الوظائف حكرًا على جماعة دون أخرى بسبب الوساطة، فإن هذا هو الظلم بعينه لجميع الأطراف.

فالظلم لمن أخذ منصبًا ليس أهلًا له، فلا يؤدى حقه، فيظلم نفسه، والظلم لمن له الحق فى تقلد هذا المنصب، ولم يعطِ الفرصة لهذا العمل الذى كان يمكن أن ينفع غيره به كثيرًا.

والظلم على المجتمع الذى يتحمل عواقب الضعفاء وغير المؤهلين للأعمال أو الوظائف، وتكون النتيجة على الجميع، والتى يتحمل وزرها ووزر من عمل بها، مبتدعوها والقائمون عليها وبها.

---

(١) البخارى فى الحدود (٦٨٨٧)، ومسلم فى الحدود (٨/١٦٨٨).

وربما تتساءلين: كيف يمكن أن تشفعى شفاعة حسنة ويكون لك نصيب منها؟

فهل فكرت فى هذه المواقف؟:

- عندما تأخذين صديقة لك، وتعرفينها على أخوات ملتزمات، وتشكرين فى أخلاقها، وتحببينهن فيها.
- عندما تذهبين مع إحدى الأخوات لتصلحى بينها وبين غيرها ممن وقعت فى خصومة معهم (الوالدان – الزملاء – الجيران – الصديقات).
- عندما تتوجهين لصاحب عمل، وتتوسطين عنده لأختك المسلمة، لكى يقبلها فى العمل عنده.
- عندما تمدحين بعض أعمال أخواتك بالحق؛ بنية المصلحة لهن، كأن يقبل عليهن الناس لشراء بضاعة، أو لعرض القيام بعمل ما.

فهذه مواقف دربى نفسك عليها؛ لكى يكون لك نصيب فى الخير مع من شفعتِ لهن. والله الموفق، وهو من وراء القصد، وهو يهدى إلى سواء السبيل.

وإليك يا أختاه ثلاث آيات، تنطلقين منهن لعمل الخير، وهى:

قال تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ﴾[البقرة:١٩٧].

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧﴾[الزلزلة:٧].

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾[الجاثية:١٥].

تحدثت عن نوعين من الشفاعة، وهما: الشفاعة فى أمور الدين، سواء عند الله أو عند البشر، والشفاعة فى أمور الدنيا، أما الشفاعة يوم الدين فقد حلت وجازت لأمة محمد ﷺ.

عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يسمع النداء: اللّهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آتِ محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذى وعدته، حلت له شفاعتى يوم القيامة» [رواه البخارى](١).

فى اليوم الذى يقول فيه آدم أبو البشر: نفسى نفسى، ويقول فيه نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: نفسى نفسى، ويقول فيه إبراهيم الخليل: نفسى نفسى، ويقول فيه موسى: نفسى نفسى، ويقول فيه

(١) البخارى فى الأذان (٦١٤).

عيسى: نفسى نفسى، يقول الله تعالى لسيدنا محمد ﷺ: اشفع تشفع. ولهذا فهو ليس سيدنا فقط، ولكن سيد الناس أجمعين.

فهيا بنا لنعيش فى هذا اليوم العصيب مع كلمات الرسول ﷺ .. عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا مع رسول الله ﷺ فى دعوة، فَرفع إليه الذراع، وكانت تعجبه، فنهس منها نهسةً (أخذ بأطراف أسنانه)، وقال: **«أنا سيدُ الناس يوم القيامة، هل تدرون مما ذاك؟ يجمعُ الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد، فينظرهم الناظر، ويُسمعهم الداعى، وتدنو منهم الشمس، فيبلغ الناسُ من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول الناسُ: ألا ترون إلى ما أنتم فيه إلى ما بلغكم، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: أبوكم آدمُ، فيأتونه، فيقولون: يا آدمُ، أنت أبوُ البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك وأسكنك الجنة، ألا تشفع لنا إلى ربك؟ ألا ترى إلى ما نحن فيه وما بلغنا؟ فقال: إن ربى غضب غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، وإنه نهانى عن الشجرة فعصيتُ، نفسى نفسى نفسى، اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى نُوح، فيأتون نوحًا، فيقولون: يا نُوحُ، أنت أول الرسل إلى الأرض، وقد سماك الله عبدًا شكورًا، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما بلغنا؟ ألا تشفع لنا إلى ربك؟، فيقول: إن ربى غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبلهُ مِثلهُ ولم يغضب بعدهُ مثله. وإنه قد كان لى دعوة دعوت بها على قومى، نفسى نفسى نفسى، اذهبوا إلى غيرى: اذهبوا إلى إبراهيم: فيقولون: يا إبراهيم أنت نبى الله وخليلهُ من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول لهم: إن ربى قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثلهُ، وإنى كنت كذبت ثلاث كذبات، نفسى نفسى نفسى، اذهبوا إلى غيرى، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى، فيقولون: يا موسى، أنت رسول الله، فضلك الله برسالاته وبكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربك: ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربى قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثلهُ، وإنى قد قتلت نفسًا لم أؤمر بقتلها، نفسى نفسى نفسى، اذهبوا إلى غيرى: اذهبوا إلى عيسى، فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى، أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وكلَّمت الناس فى المهد، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول عيسى: إن ربى قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثلهُ ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنبًا، نفسى نفسى نفسى، اذهبوا إلى غيرى: اذهبوا إلى محمد ﷺ».**

وفى رواية: «**فيأتونه فيقولون: يا محمد، أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فأنطلق فآتى تحت العرش، فأقع ساجدًا لربى، ثم يفتح الله علىَّ من محامده، وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحهُ علَى أحد قبلى، ثم يقالُ: يا محمد ارفع رأسك، سل تعطه، واشفع تُشفَّع، فأرفع رأسى، فأقول: أمتى يا ربِّ، أمتى ياربِّ، أمتى يا ربِّ، فيقُال يا محمد: أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب». ثم قال: «والذى نفسى بيده إن ما بين المصراعين (جانبى الباب) من مصاريع الجنة، كما بين مكة وهَجَرَ، أو كما بين مكة وبُصْرى»** [متفق عليه][(١)].

الحمد لله حمدًا كثيرا طيبًا مباركًا فيه على نعمة الإسلام، وأن جعلنا من أمه محمد ﷺ، فأكرمنا بها فى الدنيا، وجعلنا خير أمة إن شاء الله، وأكرمنا بها فى الآخرة. اللّهم لا تحرمنا شفاعة نبيك محمد ﷺ، اللّهم اجعلنا ممن يدخلون الجنة بغير حساب رحمة منك ومغفرة، يا غفور يا رحيم.

الدعاء والاستغفار:

قال تعالى فى سورة نوح: ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا ٢٨﴾ [نوح].

توجه نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بالدعاء إلى الله، والاستغفار له ولوالديه، ولكل من دخل بيته، ولكل من تبعه وآمن بدعوته، ولكن كان الجزء الثانى من الدعاء على من لم يتبعه، وطلب من ربه أن يزيدهم خسرانًا، وهو ما جعله يرجو رحمة ربه ومغفرته يوم القيامة، بدعوته على قومه الذين لم يتبعوه ولم يؤمنوا به، وأصروا واستكبروا استكبارًا. وعندما أنعم الله على البشرية بخاتم الأنبياء والمرسلين، المبعوث رحمة للعالمين، الذى جاء ليتمم مكارم الأخلاق، علمنا كيف تعامل مع قومه الذين عادوه وظلموه، فقد دعا لهم: «**اللّهم اهد قومى؛ فإنهم لا يعلمون**»[(٢)]. دعا الرسول محمد ﷺ كثيرًا بالهداية والغفران لكثير من المعاندين المستكبرين،

(١) البخارى فى الأنبياء (٣٣٤٠)، ومسلم فى الإيمان (١٩٤/٣٢٧).
(٢) إتحاف السادة المتقين (٢٥٨/٨)، والدر المنثور للسيوطى (٢٩٨/٢).

وقد استجاب الله لدعائه، فأقبلوا جميعًا مسلمين، فكان ما أن يسلم معاند إلا ويتبعه قومه، ففاز وفاز من تبعه.

ويأمرنا الله تبارك وتعالى بالدعاء، قال تعالى فى سورة غافر: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر:٦٠]. وقال فى سورة البقرة: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[البقرة:١٨٦]. إذن فهناك أمر بالدعاء ووعد بالاستجابة، واعتبر الرسول ﷺ الدعاء هو العبادة، وعندما أتى رسول الله ﷺ رجل يسأله كيف يسأل ربه، قال له ﷺ: قل: «اللّٰهم اغفر لى، وارحمنى، وعافنى، وارزقنى، فإن هؤلاء تجمع لك دنياك وآخرتك»(١).

وعندما سأله أبو بكر الصديق عن دعاء يقوله فى صلاته قال: **«قل: اللّٰهم إنى ظلمت نفسى ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى، إنك أنت الغفور الرحيم»** [متفق عليه](٢).

إذن فالدعاء لله من صفات المسلم العابد، ويجب أن تتحلى به المسلمة، وأن تتعلم الصدق فى الدعاء، وتحفظ من هدى الرسول ﷺ فى الدعاء. وقد يكون الدعاء للنفس وللوالدين أو للمؤمنين والمؤمنات، أو دعوة العبد المسلم لأخيه بظهر الغيب؛ فهى مستجابة.

وللإسلام فى الدعاء أصول، نذكر منها:

- أن ندعوا الله ونحن موقنون بالإجابة.
- ألا ندعوا على أنفسنا؛ ولا ندعوا على أولادنا، ولا ندعوا على أموالنا.
- أن ندعوا لمن يصنعون لنا معروفًا.
- أن ندعوا لمن ظلمناهم بقول أو فعل أو ظن سوء.
- أن ندعوا للوالدين كثيرًا.
- ألا ندعوا بإثم أو قطيعة رحم.
- ألا نستعجل إجابة الدعاء.

---

(١) أحمد (٣/٤٧٢).

(٢) البخارى فى الدعوات (٦٣٢٦)، ومسلم فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٤٨/٢٧٠٥).

عن أبى هريرة، قال: يقول الرسول ﷺ: **«يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: قد دعوت ربى فلم يستجب لى»** [متفق عليه](١).

- اختيار الأوقات المرجو الاستجابة فيها للدعاء، مثل: السجود، بين الأذان والإقامة، عند إفطار المسلم بعد الصوم، عند القيام بالأعمال الصالحة، فى السحر، يوم الجمعة، العشر الأواخر من رمضان.

- وكونى على يقين - يا أختاه - بالإجابة إن شاء الله، وهذه الإجابة قد تكون على شكلين، كما قال رسول الله ﷺ: **«ما على الأرض مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا آتاه الله إياها، أو صرف عنه من السوء مثلها، ما لم يدعُ بإثم أو قطيعة رحم»**(٢).

- العزم فى الدعاء:

عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن الرسول ﷺ، قال: **«لا يقولن أحدكم: اللّٰهم اغفر لى إن شئت، اللّٰهم ارحمنى إن شئت، ليعزم المسألة؛ فإنه لا مكره له»**(٣).

فالله تعالى عند ظن عبده به، فلندعوا الله ونحن موقنون بالإجابة.

«اللّٰهم آتنا فى الدنيا حسنة، وفى الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار».

«اللّٰهم آت نفسى تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها».

- استحضار النية لله تعالى والبدء فى العمل:

إذا فتح الله عليك بورد يومى تقرأين فيه آيات الله، وليكن جزءًا من القرآن أو أقل أو أكثر - فعليك بكراسة لتجميع أزهار الدعاء فى كتاب الله، فستجدين منها ألوانًا ورائحة وأشكالًا وجمالًا لم تريه من قبل فى أى حديقة، وربما قرأت كثيرًا، ولكن لم تقطفِى من هذه الأزهار؛ لتأخذى منها ما يعطر نفسك ولسانك، ويغذى قلبك وحواسك، ويقوى عقلك وجوارحك، فأسرعى بالعمل، والله المستعان.

---

(١) البخارى فى الدعوات (٦٣٤٠)، ومسلم فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٩٠/٢٧٣٥).

(٢) الترمذى فى الدعوات (٣٥٧٣)، وقال: «حسن صحيح غريب من هذا الوجه»، وقال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى (٩٦/١١): «حديث صحيح».

(٣) البخارى فى الدعوات (٦٣٣٩)، ومسلم فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٩/٢٦٧٩).

الاستعاذة بالله من الجهل:

قال تعالى فى سورة هود: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [هود].

فالعلم عكس الجهل، والمسلم مطالب - دائمًا - بالابتعاد عن الجهل والجاهلين، ولكنه لا يستطيع أن يصل إلى درجة العلم الكامل بالأمور، إذن فصفة الجهل توجد فى بنى آدم بدرجات متفاوتة.

يقول الله تعالى فى سورة الأحزاب: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب].

ومثل هذه الصفة الإنسانية هى التى تدعوك إلى طلب العلم الدائم؛ فمهما قرأت وعلمت فى شىء، فإن علمك ناقص، فهو ناقص فى الزمان، وناقص فى المكان، وناقص فى الكم، وناقص فى الكيف .. فما تتعلميه اليوم ربما يتناقض ما تعلمه غيرك فى الماضى، وينقض دون محالة عما سيتعلمه غيرك فى المستقبل.

ومن فوائد إدراك هذه الصفة الإنسانية [الجهل]:

- المداومة على العلم، وفتح مجالات جديدة لم تدركيها بعد، فكل علم ينفع غيره.

- عدم الاغترار بالعلم أو الدرجات العلمية؛ فهى مرحلة.

- التماس الأعذار للآخرين؛ فليس كل من أمامك عالم فيما يتحدث فيه، ومن ثم طلب المغفرة له ولغيره.

- كثرة الاستغفار والتوبة إلى الله، فما نعده علمًا قد يكون جهلًا دون أن ندرى؛ لقصور فى الإدراك والوظائف المعرفية لدى الإنسان بشكل عام، مثل: الانتباه للأمور، والقدرة على التذكر، والقدرة على الاسترجاع للمعلومات، والقدرة على الفهم الجيد.

«اللّٰهم إنا نستغفرك لما نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه، ونستغفرك لما أنت أعلم به منا؛ فأنت الأول وأنت الآخر، وأنت الظاهر وأنت الباطن، وأنت على كل شىء قدير».

- العلم بأن مثل هذه الصفة [الجهل]، هى التى تفتح على المسلم باب الغفران والرحمة من رب العالمين.

يقول الله تعالى فى سورة النحل: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ [النحل].

ويقول الله تعالى فى سورة الأنعام: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾[الأنعام].

ويقول فى سورة النساء: ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾[النساء].

هكذا أعطى الله للإنسان مفاتيح رحمته ومغفرته يفتحها بابًا تلو باب ..

الخطأ بالجهل	التوبة	عمل صالح	المغفرة والرحمة

- كثرة الاستعاذة بالله من الجهل:

قال تعالى فى سورة البقرة: ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾﴾[البقرة].

وكان الرسول ﷺ يتعوذ من الجهل، ومن أن يجهل، أو يجهل عليه: «اللّهم إنى أعوذ بك أن أجهل أو يجهل علىّ».

عدم التسرع فى الحكم على الناس خوفًا من إصابتهم بجهل، يقول الله تعالى فى سورة الحجرات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾﴾[الحُجُرات].

هذا إذا كان الجهل فينا، ولكن ماذا لو كان فى غيرنا؟ يقول الله تعالى فى سورة الأعراف: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾[الأعراف].

هل تدرين كم المنفعة التى ستحصلين عليها إذا امتثلتِ لأوامر الله - سبحانه وتعالى - وإذا اتبعتِ النور الذى أنزل على نبيه محمد ﷺ، وإذا اهتديتِ بهداه، وإذا اجتنبتِ ما نهى عنه؟

إنها السعادة لك ولغيرك فى الدارين بإذن الله، دار الفناء ودار البقاء، دار الدنيا ودار الدين، فسارعى إلى مغفرة من ربك، وجنة عرضها السموات والأرض، أعدت للمتقين.

- فخذى العفو عمن ظلمك، ولا تتصيدى لهم الأخطاء؛ فكل بنى آدم خطاء.
- وأمرى بالمعروف، باستخدام الحكمة والموعظة الحسنة، وزادك الصبر.

obeikandi.com

- أعرضى عن الجاهلين؛ فكأن جهل الغير يثير فى النفس جهلها، ويدفعها إلى الجهل والخطأ، فأعرضى عنه أينما كان؛ وقاية وحفظًا لك من الوقوع فيه، والإعراض ليس الخصومة، ولكن عدم الخوض فى الباطل.

وربما تتساءلين: كيف تأمرين بالمعروف وتعرضين عن الجاهلين؟ إنها ميزان للنفس، يجب أن تزينيه بالعقل والحكمة، فلا نجادل السفهاء والجاهلين إلى أن نقع معهم فى الخطأ، فقليل من العلم مع كثير من الجهل ربما ينفع الجاهل، فلا تثقلى عليه فيزداد جهلًا؛ فربما يكفيه السلام كضوء خافت للإيمان، يقول الله تعالى فى سورة الفرقان: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣﴾[الفرقان].

- إن الإسلام يعطى لك شهادة لا تستطيعى أن تدركيها إذا التحقت بالمدارس والجامعات والدراسات العليا .. إنها شهادة الأخت الفاضلة مكتوبة على ورق من ذهب أصفر، عليها اسمك وصورتك بالذهب الأبيض، ستكون معك أينما ذهبت، وسيراها كل من عاملك وعرفك، مختومة بالمسك، وفى ذلك فليتنافس المتنافسون.

تعطى لك هذه الشهادة:

- إذا عفوتِ عمن ظلمك.
- وإذا أعطيتِ من حرمك.
- وإذا وصلتِ من قطعك.

فهذه ثلاث مواد ستدرسينها داخل مدرسة نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وسيكتب قبل اسمك بدلًا من أ.د [الأستاذة الدكتوره] أ. ف [الأخت الفاضلة] بعد حصولك على هذه الدرجات الفاضلة الثلاث.

فماذا بعد هذا إلا الشكر لله على نعمه وفضله وتكريمه لك فى الدنيا والآخرة؟! فله الحمد فى الأولى، وله الحمد فى الآخرة، وله الحمد والشكر كما ينبغى لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

وهذه أبيات شعر لكيفية معاملة السفهاء، يقول فيها الشاعر:

يخاطبنى السفيه بكل قبح ... فأكره أن أكون له مجيبًا

يزيد سفاهة فأزيد حلمًا ... كعود زاده الإحراق طيبًا

الإحساس بالخسارة والندم:

قال تعالى فى سورة هود: ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾[هود].

أحس نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ بوضعه من الخسارة والهلاك إذا لم يغفر الله له ويرحمه، وهو إحساس نبى من أنبياء الله بعدما أعطاه الله النبوة وفضله بها، فكيف تكون نهايته غير الغفران؟!

ولك أن تستشعرى ذلك من مواقف حياتية لبعض الناس، ربما يفسر لك انفعالاتهم وحزنهم أو إحساسهم بالخسارة الكبيرة عند أقل خطأ أو ذنب. عندما يبكى الطالب المتفوق على عدم إحرازه الدرجات النهائية، وإحساسه بالألم النفسى الكبير، وعندما يمرض التاجر الذى حقق أرباحًا كثيرة؛ لخسارته فى عملية تجارية بسيطة، وعندما يحس الابن والابنة البارة بأهله - عظيم الذنب - عند الخطأ البسيط فى حق والديها، وذلك بعدما وصلت إلى درجة عالية من البر بهما وحبهما.

فهذه مواقف ثلاثة لتقريب مدى الإحساس المرهف للأنبياء فى تعاملهم فى أمور دينهم ودنياهم، ولعلك تعرفين أن رسول الله محمدًا ﷺ كان يستغفر الله فى اليوم أكثر من سبعين مرة، وكان يصلى الليل حتى تشققت قدماه، وكان جوابه بعد أن ذكر بأن الله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر: **«أفلا أكون عبدًا شكورًا؟!»**[1].

فالإحساس بالخسارة والندم من الشروط الأساسية للتوبة، وقد تحسين بالخسارة عندما تتمنين لو عاد بك الزمن لتصححى أخطاءك وتهذبى سلوكك ويستقيم سيرك، فهذه فتاة كانت تعصى والدها وهى ضده على الدوام، فجاء يوم موته فلم تستطع أن ترجعه لتبره وتطيعه، فأكثرت من البكاء، وتمنت لو كان حيًّا لترضى فيه ربها .. فأكثرت من الدعاء له والاستغفار لها وله؛ عسى الله أن يتقبل توبتها، وأخذت تبره بعد موته، وبعدما عرفت أن لها فرصة بر والديها بعد موتهما - بالدعاء والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وتصل الرحم المتعلقة بهما، وإكرام صديقهما - أخذت فى العمل، فهذه علامات لبر الوالدين بعد موتهما، فيها ما بين العبد وربه، وما بين العبد والعباد.

لقد كثرت المفاهيم اليوم، وكثرت ما تتضارب به من معان، وعندما بعد المسلمون عن دينهم وقرآن ربهم وهدايته، أخذوا علمهم عن الجاهلين فى أمور دينهم ودنياهم، وأعطوهم

---

(١) البخارى فى الرقاق (٦٤٧١)، ومسلم فى صفات المنافقين وأحكامهم (٢٨١٩ /٧٩).

الثقة فى تحويل مفاهيمهم رأسًا على عقب، ولم يصبح لأعدائهم رأى فى دنياهم فقط، وإنما دخلوا فى أمور دينهم؛ ليحذفوا منها ما يشاءون، ويغيروا منها ما يستهوون، ويضيفوا إليها ما يستعظمون، فهل نحن المسلمين منتهون؟! لقد قبل أعداء المسلمين أن يغيروا فى دينهم، وأن يؤمنوا ببعض ويكفروا ببعض، فهل جاء الزمان على المسلمين بأن يقبلوا ذلك؟!

يجب أن نفيق، وإلا دخلنا فى دائرة المغضوب عليهم والضالين.

أختاه يجب أن نبحث فى كتاب الله، وأن نفهمه وندرك مفاهيمه كما يحب الله ويرضى، وكما أمرنا رسول الله ﷺ وكما سار على نهجة السلف الصالح.

ربما تكون هذه كلمات لتمهدى نفسك جيدًا، للتفكر فى مفهوم الخسارة فى زمن العولمة وزمن الاقتصاد الحر. فهل ما نحن بصدده خسارة فى المال أو العلم والثقافة والدرجات العالية والتنسيق، حسب المجموع الذى يلحق من يريد ومن لا يريد فيما يريدون أعوانًا وأولياء أعداء الدين، فلم تصبح عند الناس الخسارة فى عدم توظيف المتعلمين، ولا فى كيف يستفيد المجتمع فيما أنفق على العلم والمعلمين، إنها أشياء صورية لا تسمن ولا تغنى من جوع ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا!.

فهل تعنى الخسارة عند الفتيات عدم مشاهدتهن حفلة المغنية (فلانة) أو المطرب (فلان)، أو عدم الاحتفال بعيد الزنا (عيد الحب)؟! فكّرى فى المفاهيم: كيف قلبت الفضيلة (الحب) إلى رذيلة (زنا)، وأعطتها اسمها؟!، ابحثى عن معنى المفاهيم فى دينك؛ لكى تستقيم دنياك. كيف أقنع أعداء الدين الإسلامى المسلمين بأن وضع أموالهم فى شركات المسلمين والربح الحلال، أصبح خسارة، وأن وضعهم لأموالهم فى بلاد أعداء المسلمين هو الكسب، وأن الربا هو الحل؟! كيف حاربت الشركات الإسلامية التى كانت تعطى أرباحًا حلالًا مباركة، وضيقوا على أصحابها، وصادروا أموالهم، حتى أقنعوا الناس، وأفهموهم بأن الحلال خسارة، وأن أصحاب الشركات الإسلامية لصوص؟!، فكرى فى المفاهيم: كيف حول أعداء دينك مفهوم الداعية الإسلامى المحترم إلى ممثل يبغى الشهرة والمال، وكيف يُظهرون الفاسقين نجومًا فى السماء، ويصفقون لهم بأيدهم وأيدى المسلمين، فاعتبروا يا أولى الأبصار؟! فكرى فى المفاهيم: كيف حول أعداء دينك الجهاد ضل المحتل إلى إرهاب؟! وكيف يعملون على إقناع المسلمين بذلك؟! وكيف يعقدون المؤتمرات والندَّوات ولقاءات القمة للرؤساء وملوك المسلمين؛ لكى يوافقوا على محاربة المجاهدين ضد المحتل الجبان؟!

وهم فى ذلك يعلنون ويفتخرون بصداقة رؤساء المسلمين وملوكهم، ومدى مساهمتهم فى قضيتهم المعادية للجهاد المشروع، والمساندة للاحتلال والظلم والقهر والعدوان والضرب بأطنان القنابل.

أختاه الأمثلة كثيرة، فهذا عصر المفاهيم، فأجدر بك أن تقرأى وتبحثى وتدركى ماذا يريد الله أن تعرفيه فتدركيه، وماذا يريد الشيطان وأعوانه من الإنس أن تعرفيه.

فهيا بنا لنقرأ معًا ماذا كانت الخسارة فى القرآن الكريم: يقول الله تبارك وتعالى فى سورة النساء: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾﴾[النساء].

والخسران المبين هو الخسارة فى كل شىء .. فى الدنيا والآخرة، فى الظاهر والباطن، فهذا عقاب من اختار الشيطان واطمئن له، وأعانه هو وأعوانه – اللّهم إنا نعوذ بك من الشيطان الرجيم. يقول الله تعالى فى سورة الحج: ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾ [الحج].

والخاسرون الحق هم من خسروا أنفسهم بالأساس وقبل كل شىء، حتى ولو اجتمعت أموال الدنيا فى أيديهم، ويأتى خسران النفس من الكفر بالله وعدم الإيمان به وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، والإيمان كل لا يتجزأ؛ فلا إيمان لمن لا يؤمن باليوم الآخر، أو لا يؤمن بالقدر خيره وشره، أو يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض، أو يؤمن ببعض الرسل ويكفر ببعض. وقد نبأنا الله تعالى بالأخسرين أعمالًا فى سورة الكهف: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾[الكهف].

إذن فمعيار الخسارة والمكسب يجب أن يستقيم لديك؛ لكى تبدأى فى حساب مكاسبك وخسارتك كما يحب الله ويرضى، وهذه بعض الأمثلة التى تفتح لك أبواب التفكير والتفكر فى آلاء الله:

– امرأة تشترى ثلاثة كيلو سمكًا .. كل نصف كيلو على حدة؛ لكى تكسب زيادة فى الميزان فى النهاية.

هل كسبت أم كانت من المطففين؟

– طالبة كسبت درجات فى الامتحان بالغش من زميلاتها .. هل كسبت أم خسرت نفسها بالغش والخداع؟

– بنت كذبت على والديها، وذهبت فى نزهة مع شباب .. هل كسبت النزهة أم خسرت نفسها وأغضبت ربها؟

– بنت شاهدت فيلمًا إباحيًّا، وبه مناظر خليعة .. هل استمتعت أم خسرت وقتها ونفسها؟

– طالبة فضلت التعامل مع الشباب دون الفتيات – زميلاتها – للحصول على العلم، بدعوى أن الشباب يعطون ولا يبخلون، وأن الفتيات أكثر حسدًا وحقدًا على بعضهن .. هل كسبت العلم أم خسرت أخواتها والطريق المستقيم؟

– فتاة تخرج متبرجة بالزينة، مظهرة مفاتنها لكل عين .. هل كسبت إعجاب الناس – وخاصة الشباب – أم خسرت رضا الله عليها ورضا والديها؟

– فتاة امتنعت عن مساعدة والدتها فى شئون المنزل؛ بدعوى الحفاظ على نعومة يدها ورشاقتها وجمالها .. هل كسبت الجمال أم خسرت بر والدتها ورضا ربها عليها؟

أختاه الأمثلة كثيرة لا تكاد تحصى، وعليك إعادة النظر فى موازينك وتقديرك للأمور، وليكن رضا الله عليك والجنة هو دافعكِ فى فهمك وتقديرك للأمور، وليكن حبك لله أكبر من حبك لجميع خَلْقِه، ما تعلميه وما لا تعلميه، وقد سأل الرسول ﷺ الله أن يهبه حبه: **«اللّهم إنى أسألك حبك، وحب من يحبك، وكل عمل يقربنى إلى حبك»**[1].

***

(١) الترمذى فى الدعوات (٣٤٩٠)، وقال: «حسن غريب».

oberikandi.com